

الباب الثالث

أطباء العصر الطولوني

من ٢٥٤ إلى ٢٩٢ هـ

من ٨٦٨ إلى ٩٠٥ م

مقدمة الباب الثالث

على رغم قصر فترة حكم الطولونيين في مصر التي لم تزيد على ٣٨ عامًا، فإنها تعد بداية للتأليف في الطب باللغة العربية في مصر، كما تميز هذا العصر ببناء البيمارستان العتيق (يعرف باسم البيمارستان الأعلى) الذي أنشأه أحمد بن طولون سنة ٢٥٩هـ / ٨٧٢م.

كما ظهرت تخصصات الأطباء على رغم قلة عددهم، فأبو علي خلف الطولوني كان متخصصاً في طب العيون، وألف فيه؛ ومنهم من عمل بالطب وترك مصنقات عديدة في موضوعات مختلفة.

وقد كان للأطباء في ذلك العهد أزياءهم الخاصة، ولكل طبيب أعوانه ومساعدوه، ومن مهمتهم دق العقاقير وعجن الأدوية ونفخ النار. وحتى هذا العصر لم تعرف أطباء من اليهود في مصر، بل كانوا من النصارى والمسلمين. وتعاضل أمر الأطباء اليهود في مصر في العصر الفاطمي بعد ذلك.



الحسن بن زيرك

ت ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م

كان الحسن بن زيرك أحد الأطباء المقيمين مع أحمد بن طولون، وفي سنة ٢٦٩ هـ خرج أحمد بن طولون إلى الشام، قاصداً الثغور لإصلاحها، وكان في صحبته طبيب آخر هو سعيد بن توفيل وفي رحلته أكثر ابن طولون من شرب لبن الجواميس، فأدركته هيفة^(١)، ولم يفلح سعيد بن توفيل في معالجة ابن طولون منها؛ لعدم استجابته لتعليمات طبيبه. وعندما عاد إلى مصر أحضر الحسن بن زيرك لمعالجته، ولكن ابن طولون لم يمتثل كذلك لتعليمات طبيبه الثاني، وبازدياد علته هدد جماعة الأطباء. وكان الحسن بن زيرك شيخاً كبيراً فحميت كبده من سوء فكره وخوفه، واعتراه إسهال ذريع ومات^(٢).

إبراهيم بن عيسى

ت ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م

كان إبراهيم بن عيسى الطبيب الخاص لأحمد بن طولون (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م)، وقد رحل معه من بغداد إلى مصر، وعندما كان في بغداد صحب يوحنا بن ماسويه^(٣)، وقرأ عليه، وأخذ عنه. وربما كان إبراهيم بن عيسى أول من وصل إلى مصر في بداية حكم الطولونيين سنة ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م. واستمر في خدمة أحمد بن طولون. وظل مقيماً في فسطاط مصر إلى أن توفي نحو سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م^(٤).

(١) الهيفة: مرض من أعراضه القيء، الشديد والإسهال والهزال.

(٢) ابن أبي أصيبعة ١٣٦ / ٣ - ١٣٧

(٣) أبو زكريا يوحنا بن ماسويه، وكان نسطوريا من مدرسة جند يسنبور وتوفي ٨٥٧ م. وهو يعرف في الغرب باسم Mesue Major، وفي عصر النهضة ورد ذكر هذا الطبيب كثيراً باسم يوحنا الدمشقي Johanaes Damascenus، ونشرت ترجمة كتابه النوادر انطبية بعنوان: Horismus Johanaes Damasceni, Bologna, 1404 ونسبت إليه مؤلفات طبية كثيرة (بعضها بالسريرية) من بينها: دغل العين، وهو أول كتاب عربي منظم عن رمد العين (انظر ماكس مايرهوف: علاج العيون عند يوحنا بن ماسويه مجلة Der Islam ح ٦ سنة ١٩١٦، ص ٢١٧ - ٢٦٣ و ح ٨ سنة ١٩١٧ ص ١٠٨).

(٤) ابن أبي أصيبعة ١٣٦ / ٣

سعيد بن توفيل

ت حوالى ٢٦٩ هـ أو ٢٧٩ هـ

كان طبيباً نصرانياً متميزاً فى صناعة الطب، وكان فى خدمة أحمد بن طولون، يرافقه فى الحل والترحال، وقد غضب عليه أحمد بن طولون قبل موته، وذلك كما أوضحنا فى الحديث عن الحسن بن زيرك^(١). وقد عمل سعيد بن توفيل فى البيمارستان العتيق (يعرف باسم البيمارستان الأعلى)^(٢)، وقد أنشأه أحمد بن طولون سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م وقيل ٢٦١ هـ.

أبو على خلف الطولونى

ت بعد ٢٠٢ هـ / ٩١٤ م

من أهالى مصر فى أيام الطولونيين، وكان مشغولاً بصناعة الطب. وله معرفة جيدة فى علم أمراض العين ومداواتها. وله كتاب «النهاية والكفاية فى تركيب العينين خلقتهم وعلاجهما وأدويتهم». وفرغ من هذا الكتاب فى سنة ٣٠٢ هـ^(٣). ويذكر مايرهوف^(٤) هذا الكتاب فيقول: «ولابد من أنه كان كتاباً ضخماً. ولكنه فقد من زمان يعيد على الأرجح. إذ كان هيرشبرج لم يعثر إلا على نبذة واحدة منه فى كتب طب العيون المتأخرة. أما أنا فلم أتمكن حتى الآن من العثور على شطر منه».

نسطاس بن جريج

من نصارى مصر العالمين بالطب، وكان فى دولة الإخشيد بن طنج (حكم من ٣٢١ إلى ٣٣٤ هـ، وهو مؤسس الدولة الإخشيدية بمصر ٣٢٣ - ٣٥٩ هـ / ٩٣٥ - ٩٦٩ م). ومن أحفاده إسحاق بن إبراهيم بن نسطاس طبيب الحاكم بأمر الله الفاطمى (٢٨٦ - ٤١١ هـ / ٩٩٦ - ١٠٢١ م)^(٥). ولنسطاس من المؤلفات^(٦):

- ١- كناش (قندلفت بالقاهرة)، ذكر منه نسخة الأب بولس شباط فى ملحق فهرسته ص ١٥.
- ٢- رسالة فى البول بعث بها إلى خالد بن رومان النصرانى الأندلسى، وفيها استدالات على أحوال الشخص وأمزجته من فحوص بوله.

(١) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٣٧

(٢) أحمد عيسى تاريخ البيمارستانات ص ٦٧

(٣) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٤٠ - ١٤١

(٤) مايرهوف، كتاب العشر مقالات فى العين، ص ٩

(٥) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٤١

(٦) السامرائى، تاريخ الطب، ٢ / ٥٥٣

(فى الخزانة الٲيمورية بدار الكتب المصرية رسالة برقم ١٣٩ رياضيات عنوانها « رسالة فى كيفية الاستدلال بالبول على أحوال الشخص وأمراضه لنسطاس الحكيم ». وربما كانت هى المقصودة كما ذكر الأب بولس شباط فى ملحق فهرسته ص ١٥ « رسالة فى الأدوية الشجارية كتبها خالد بن يزيد بن رومان النصرانى إلى نسطاس جريج الطبيب المصرى ».

سعيد بن البطريق

٢٦٢ - ٣٢٨ هـ / ٨٧٧ - ٩٢٩ م

من نصارى الفسطاط بمصر، ومقدم بينهم، وكان طبيباً مشهوراً بصناعة الطب وعملها، متقدماً فى زمانه، وكانت له دراية بعلوم النصارى ومذاهبهم، ومولده فى يوم الأحد لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وستين ومائتين للهجرة، ولما كان فى أول سنة من خلافة القاهر بالله محمد بن أحمد المنتصر بالله (٣٢٠ - ١٢٤ / ٩٣٢ - ٩٣٤ م) صير سعيد بن البطريق بطريكا على الإسكندرية وسمى أوثوشىوس، وذلك لثمان خلون من شهر صفر سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة. ولسعيد بن البطريق من العمر نحو ستين سنة. وبقي فى الكرسى والرئاسة سبع سنين وستة أشهر. وكان فى أيامه شقاق عظيم وشر متصل بينه وبين شعبه. واعتل سعيد بن البطريق بمصر بالإسهال، وكان متميزاً فى صناعة الطب، فحدث أنها علة موته فصار إلى كرسيه فى الإسكندرية، وأقام به أياماً عدة عليلاً ومات يوم الإثنين سلخ رجب من سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة^(١).

ولسعيد بن البطريق من الكتب :

١- كتاب فى الطب علم وعمل (مناديلى بحلب)^(٢).

٢- تفسير فصول أبقراط (مجلس شوارى)^(٣).

٣- كتاب الجدل بين المخالف والنصرانى.

٤- كتاب نظم الجواهر ثلاث مقالات، كتبه إلى أخيه عيسى بن البطريق المتطبب فى معرفة صوم النصارى وفطرم، وتواريخهم وأعيادهم وتواريخ الخلفاء والملوك المتقدمين. وذكر البطارقة وأحوالهم، ومدة حياتهم ومواضعهم، وما جرى لهم فى ولايتهم، وقد ذيل هذا الكتاب نسب لسعيد بن البطريق، يقال له يحيى بن سعيد بن يحيى، وسمى كتابه : كتاب تاريخ الذيل.

(١) ابن أبى أصيبعة ٣/١٤٢ - ١٤٣

(٢) السامرائى، تاريخ الطب ٢/٥١٢ - ٥١٣

(٣) أحمد عيسى - معجم الأطباء ١٢٧ - ١٣٠

ابن الداية

ت بعد ٣٣٠ أو ٣٤٠ هـ / ٩٤١ أو ٩٥١ م

هو أحمد بن أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم يعرف بابن الداية ، ويكنى بأبي جعفر، وكان أبوه يكنى أبا الحسن. وهو من فضلاء أهل مصر، وممن له علوم كثيرة في الأدب والطب والنجامة والحساب وغير ذلك. وله من التصانيف : سيرة أحمد بن طولون - كتاب سيرة ابنه أبي الجيش خمارويه - كتاب سيرة هارون بن أبي الجيش - أخبار علمان بنى طولون - كتاب المكافأة - كتاب حسن العمبي - كتاب أخبار الأطباء - كتاب مختصر المنطق ألفه للوزير على بن عيسى بكتاب ترجمته - كتاب الثمرة - كتاب أخبار المنجمين - كتاب أخبار إبراهيم بن المهدي - كتاب الطيخ.

كان أبو يوسف بن إبراهيم أبو الحسن الكاتب في خدمة إبراهيم بن المهدي، وله كتاب في أخبار المتطبيين.

